



العداوة، كما كان حال الخليل عليه السلام فقال: ﴿فأنهم عدوّ لي إلّا ربّ العالمين﴾ (الشعراء: ٢٦) : (٧٧) .  
فكما أنّ لأرباب النفوس بغلبات الشهوات النفسانيّة حظوظ منبعثة من دركات الجحيم -  
من النساء والبنين والذهب والفضّة والخيل والأنعام والحراث - على عدد أبوابها السبعة ودركاتها  
التي كلّها محفوفة بالشهوات كما قال عليه السلام: «حفت النار بالشهوات» لكلّ دركة شهوة لها سبعة  
أبواب لكلّ باب جزء مقسوم، منهم يتلذذون بها عاجلاً ويصلونها يوم الدين آجلاً، كما  
قال: ﴿إنّ الفجّار لفي جحيم﴾ - يعني الآن عاجلاً - ﴿يصلونها يوم الدين﴾ - يعني غداً آجلاً -  
﴿وما هم عنها بغائبين﴾ (الانفطار: ٨٢) : (١٤-١٦) فكذلك لأرباب القلوب بغلبات أوصافها  
الروحانيّة وجذبات عناياتها الربانيّة حظوظ من درجات الجنان ونعيمها عاجلاً ثمّ يدخلونها  
آجلاً، كما قال سبحانه و تعالى: ﴿إنّ الأبرار لفي نعيم﴾ (الانفطار: ٨٢) : (١٣) نعيم الآثار و  
الأفعال، وأمّا نعيم الذات والصفات فأشار إليه بقوله: ﴿واللّٰه عنده حسن المآب﴾ (آل عمران  
٣) : (١٤) وبقوله تعالى: ﴿اللّٰه يجتبيٰ إليه من يشاء ويهٰديٰ إليه من ينيب﴾ (الشورى: ٤٢) : (١٣) .

### المقالة التاسعة عشرة

### في قوله سبحانه: ﴿أولئك أصحاب النار﴾

وفيه البصائر:

#### البصيرة الأولى

#### في اللفظ

اسم الإشارة فيه يحتمل أن يرجع الى الكفار والطواغيت جميعاً، فيكون زجراً للكلّ  
ووعيداً، لأنّ لفظ «أولئك» إذا كان جمعاً وصحّ رجوعه الى كلا المذكورين وجب رجوعه  
اليهما معاً، لكنّ إلّا رجح عندي أن يكون راجعاً الى الكفار خاصة، ويكون المراد من  
أصحاب النار أصحابها أصالة وجبلة - وهم النفس والشيطان والطاغوت -، فيكون معنى  
الاية: أرواح الكفّار مع أصحاب النار؛ بتقدير المضاف هم فيها خالدون. أي: معهم فيها  
خالدون.

## البصيرة الثانية

### فى المعنى

أيها الأرواح الساهية الجاهلة الكافرة بأنعم الله إنكم وإن لم تكونوا فى أول الفطرة من جنس أصحاب النار المبعّد عن دار القرار، لكن لما تشبهتم بهم «فمن تشبه بقوم فهو منهم» «ومن أحبّ قوماً فهو منهم»<sup>١</sup>، فكونوا معهم خالدين فى النار ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (النحل: ١٦: ٣٣).

وفى هذا المقام تحقيقات نفيسة ذهلت عنها الأكثرون، إلّا من أيده الله بنور منه، ولا يمكننى أن أجود بذكرها مفصلاً للراغبين وأسمح بالكشف عنها للطالبين لابتنائها على علوم جمّة ومقدمات كثيرة بعضها برهانية وبعضها كشفية، يطول الكلام بذكرها ويخرج به عن أسلوب التفسير على طور أهل الدقة من الجماهير، مع أن التعمق فى الكشف عن الأسرار غير ملائم لطبايع أصحاب الأنظار، لكن مع ذلك لا ينبغى الإهمال عنها بالكلية، بل لا بدّ أن أذكر اجمالاً منه لكونه ممّا يتوقف عليه معنى الآية على حسب ما اخترناه .

وأصل المسألة صيرورة أرواح الكفار وما يحذو حذوها بكثرة الانكباب الى اللذات من نوع ما يحبونه ويتشبهون به من الدواب والأنعام - بالحقيقة لا بالمجاز - بعد ما كانوا من سنخ الانسان فى أول الأمر، فهم قد مسحوا قرده وخنازير باطناً وسراً، وإن كانوا فى صورة الانسان ظاهراً، وتلخيص بيانه على الوجه العقلى محافظاً للقانون الحكيمى حسب ما شرحناه وفصلناه فى مسفوراتنا هو ممّا أذكره الآن، فاستمع لما يتلى عليك من البيان .

## البصيرة الثالثة

### فى تمهيد ما أصلناه واجمال ما فصلناه

اعلم أن صيرورة أرواح الكفار من أصحاب النار بعد ما لم يكونوا منها من جهة الفطرة الأصلية يتوقّف تحقيقها والعلم بها أولاً على معرفة حقيقة النار والجنة، ثم على حقيقة أصحابها وأربابها، ثم على كيفية انقلاب النشأة الانسانية من أصل فطرتها إمّا الى فطرة الشياطين والسباع والبهائم، أو الى فطرة الملائكة والحوار والغلمان .  
وهذه أصول لا ينكشف حقائقها لأحد إلّا لخواص العرفاء من الأولياء، فلنذكر نبذاً منها

وجملة من ماهيتها ومعرفتها على الكشف والتحقيق من علامات أولياء الله التي بها يمتازون عن غيرهم ، فإن معرفة الملائكة وكيفية الهامها ومعرفة الشياطين وجنودها وكيفية وسواسها من لطائف علومهم ودقائق معارفهم التي لاخبر عند غيرهم إلّا بنور متابعتهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴿ (الأعراف: ٧) ٢٠١-٢٠٢ .

كما أنّ من علاماتهم ودقيق علومهم ولطيف أسرارهم التي يمتازون بها عن غيرهم معرفة البعث ، والنشر ، والقيامة ، والحشر ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، والجواز ، وذلك لأنّ أكثر علماء المذاهب وفقهائها ومتكلميها المتعبدين فيها متحيرون في معنى الابليسيّة وحقيقة ابليس المخاطب ، وأكثر المتفلسفة منكرون قصته مع آدم وعداوته وخطابه مع ربّ العالمين ومواجهته إياه بخشونة الخطاب ممّا ذكر في القرآن .

### البصيرة الرابعة

#### في معرفة الجنة والنار

اعلم أنّ لكل منها صورة وحقيقة ، فصورة النار كما وصفها الله تعالى بأوصاف متعدّدة من قوله : ﴿ الْحَطْمَةُ ﴾ (الهمزة: ١٠٤) : ٥) ﴿ الْكِبْرَى ﴾ (الأعلى: ٨٧) : ١٢) ﴿ نَزَاعَةُ لِلشَّوَى ﴾ ﴿ تَدْعُوا مِنْ أَدْبُرٍ وَتَوَلَّى ﴾ ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ (المعارج: ٧٠) : ١٨-١٦) وقوله : ﴿ انْطَلَقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ لا ظليل ولا يغني من اللهب ﴿ انها ترمي بشرر كالقصر ﴾ (المرسلات: ٧٧) : ٣٢-٣٠) وبقوله : ﴿ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ نار حامية ﴿ (يونس: ١٠) : ٩-١١) وبقوله : ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴾ التي تطلع على الأفتدة ﴿ (الهمزة: ١٠٤) : ٧٤) . وصورة الجنة كما وصفها الله تعالى بقوله في عدة مواضع : ﴿ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (البقرة: ٢) : ٥) ﴿ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (محمد: ٤٧) : ١٥) .

أمّا حقيقة النار فلا يمكنني تحديدها والتنصيص عليها بما يساوقها إلّا على سبيل التقريب ، فيشبه أن تكون حقيقتها هي البعد والنقصان والقطيعة عن الرحمن لا المعنى المصدري ، بل الجوهر الذي هو منشأ البعد والطرده عن الله ، فإنّ للوجود درجات متفاوتة ودرجات متسافلة ، احدى حاشيته في غاية الشرف والرفعة والجلالة - وهو الباري تعالى - والأخرى في غاية النزول والخسة والدنو ، وبينهما درجات ومنازل ومصاعد ومهاوى .

وحقيقة الجنة هي القرب من الله ومجاورة الحق الأول، لا المعنى المصدري بل ما به يتقرب منه ويتجاوز- على قياس ما أشرنا في معنى البعد عن رحمة الله - فمن هاهنا يعلم معنى جهنم بالذات وهي الهاوية - لكونها في غاية الهبوط والنزول والبعد عن الله العلي العظيم والنار لكونها قطاعة نزاعة للشوى، والحطمة الكبرى لكونها يحطم ويهلك ما يقع فيها لوقوعها في حاشية العدم وليست بعدم محض ليحصل بها الخلاص، وشأن ما يجاور العدم وليس بعدم ما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٌ﴾ (ابراهيم: ١٤) وقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (الأعلى: ٨٧: ١٣).

فاذا علمت معنى الجحيم بالذات علمت معنى الجحيم بالاضافة، والقلب الانساني كأنه واقع بين طرفين - يمين وشمال - أو بمنزلة خط هندسي مشترك بين الضوء والظل، وطبقات جهنم السبعة المتفاوتة في ملاك المعنى المشترك وكذلك قياس معنى الجنة بالذات والجنان المضافة و درجاتها .

### البصيرة الخامسة

#### في معرفة أصحابها

وإذا علمت معنى جهنم والجنان وتفاوت مراتب كل منهما بحسب الذاتية والعرضية، يمكنك أن تعرف أصحاب كل من طبقات النيران من أتباع الشيطان، وتعرف سكان كل من درجات الجنان من عباد الرحمن بحسب الجوهر والذات، وتعلم أيضاً أن كل ما يقرب الانسان الى الحق الأول ويشبهه الى الملائكة المقربين فهو منشأ ثواب الله له واستحقاقه رحمة الرحمن ودخول الجنان، وكل ما يقربه من عالم المواد السفلية ويدخله الى أبواب الدنيا الدنية وطلب مشتيتها الخسيسة وترفعاتها ورياستها الباطلة الزائلة فهو موجب مقت الله وغضبه عليه وسبب طرده وبعده عن ملكوته الأعلى .

فأفضل خلق الله وأولاهم برحمته ورضوانه ومجاورته وغفرانه، وأقربهم اليه مناسبة ومشابهة من لاحجاب بينه وبين الحق، وهم العقول القادسة المفارقة عن الأجسام بالكلية- ذاتاً وفعلاً والتفاتاً - سواء كانوا بهذه المثابة في القدس بحسب أصل الفطرة - كضرب من ملائكة الله المقربين - أو بحسب الاكتساب العلمي والعملی - كضرب من الأنبياء والأولياء المطهرين - صلوات الله عليهم أجمعين - على تفاوت مراتبهم في قصر النظر اليه وعدم الالتفات الى غيره .



فأجلهم مرتبة وأحبهم لله عشقاً من الالتفات له الى ذاته العارفة بالحق، المزينة بنور الله من حيث هي الذات، فضلاً عن التفاته الى غيرها، فإن الالتفات الى غير الله - وإن كان هو من الذات العارفة - بون وهجران، و ايثار العرفان من جهة كونه عرفانا - وإن كان بالحق - بعد وحرمان، وقصر النظر والالتفات الى المعروف به فقط دون غيره وصال وجنة ورضوان .

وبعد هذه المرتبة مرتبة العشاق المشتاقين من أهل العرفان والايمان، كملائكة الله العمالة المدبرة للأجسام، والنفوس الكاملة من الانسان، أما العشق فلعرفانهم وكمالهم ومنزلتهم وحالهم، وأما الشوق المستلزم لنار الحرمان وعذاب المفارقة، فلبقاي وجودهم والتفاتهم الى غيرالله، وبقايا قصوراتهم الامكانية المقتضية للتعلقات بالأجرام .

فهم لأجل عرفانهم وايمانهم سكنوا درجات الجنان واختلفوا في مراتب القرب من الرحمن بحسب مراتب عرفانهم قوة وضعفاً، ولأجل قصور ذواتهم عن تمام روح الوصال تأذوا أنواع أذى، إلا أنهم حيث تنورت عقولهم بالمعرفة والايمان، ولم يتكدر ذواتهم بالجهل والعصيان، ولم يحتجوا بظلمة الظلم والطغيان، لم يكن لهم أذى أليم، بل أذاهم أذى لذيذ، لكونه من قبل معبودهم وهم عارفون بأن الأذى من قبله، والعاشق إذا علم يقيناً أن مايناله من الأذى مما حصل من جهة معشوقه يفرح به، ويكون عين الأذى لذيداً عنده؛ لأنه يتصور وصول أثر المعشوق به اليه، و « وصول الاثر أثر الوصول» كما قيل .

وقد مثل بعض العرفاء هذا الأذى اللذيذ في العقليات بأذى الحكمة والدغدغة في الحسيات، والفرق بين القبيلتين بعد كون أحدهما عقلياً والاخر حسياً، كما ذكره بعض المحققين: أن الأذى واللذة في الدغدغة متبائنان وجوداً - وإن كان الحس لا يميز بينهما لتعاقبهما - وهاهنا هما متحدان وجوداً .

فهاتان المرتبتان لأهل السعادة :

**الأولى :** منهما للمقربين الذين يقال لهم : «أهل الله» . والثانية : لأصحاب اليمين الذين يقال لهم « أهل الفضل والثواب» ﴿الذين آمنو وعملوا الصالحات﴾ للجنة راجين لها راضين بها فوجدوا ما عملوا حاضراً من ثمرات أعمالهم ونياتهم على تفاوت درجاتهم ولكل درجات مما عملوا .

ومنهم أهل الرحمة الباقون على سلامة نفوسهم وصفاء قلوبهم بحسب الفطرة الأصلية من غير أن يفظظها مباشرة الأمور الأرضية الجاسية ، المتبوؤن درجات الجنان لا على حسب كمالاتهم من ميراث عملهم - بل على حسب استعداداتهم من فضل ربهم ورحمته التي يكفى لها مجرد صفاء القابل وعدم المنافى - .

وبعد هاتين المرتبتين مرتبة نفوس مترددة بين جهتي الربوبية والسفالية وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهم قسمان :

أما المعفو عنهم رأساً لقوة اعتقادهم وعدم رسوخ سيئاتهم - إما لقلّة مزاولتهم إياها ، أو لمكان توبتهم عنها ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ .

وأما المعذبون حيناً بحسب ما رسخ فيهم من المعاصي حتى خلصوا عن درن ماكسبوا فنجوا ، ويقال لهم أهل العدل والعفات ﴿والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ماكسبوا﴾ لكن الرحمة تتداركهم وتناهم بالآخرة ، فهذه المراتب الثلاثة الكلية على حسب تفاوت درجات النفوس الواقعة في كل مرتبة منها لأصحاب الجنان على تفاوت مراتبهم في القرب من الرحمن والبعد من الطاغوت والشيطان .

وأما أصحاب النار فهم ذوالنفوس المنحوسة المغموسة في عالم الطبيعة التي لامفاصل لرقابها المنكوسة ، ولانجاة لقلوبها المطموسة ، لكونها إما جرمانية الذات فطرة أو اكتساباً ، أو جرمانية الصفات والمتعلقات بحسب مزاولة الأعمال الدنياويات .

### البصيرة السادسة

#### في كيفية توزع الأرواح الانسية الى أصحاب الجحيم والدركات و أصحاب النعيم والدرجات بقول اجمالى

واعلم أن الانسان مركب بحسب نشأة حدوثة من عالمي الأمر والخلق ، فله روح نوراني علوي من عالم الأمر - وهو الملكوت الأعلى - وله نفس ظلمانية سفلية من عالم الخلق . ولكل منهما نزاع وميل وشوق الى عالمه . فقصد الروح وميله ورغبته وشوقه أبداً الى عالمه وهو جوار رب العالمين ، وميل النفس وقصدها الى عالمها وهو أسفل السفالين وغاية البعد عن الحق .

فبعث الله النبي ﷺ بصفة الرحمة واللفظ ليزكى النفوس عن ظلمة أوصافها وسوء

أخلاقها وتحليلها بحلية أنوار الأرواح، ليستحق بها جوار الحق وملكوته وقربة في زمرة الأرواح المطهرة، فتزكيتها وتقديسها باخفاء ظلمات الأوصاف الحيوانية في ابداء أنوار أخلاق الروح في تحليلتها بها، ليغلب نور الروح على ظلمة النفس ويقهرها ويكتمها في كتم العدم والخفاء، فهذا مقام الأولياء مع الله ﴿يخرجهم من الظلمات الى النور﴾ .

وبعث الشيطان بصفة العزة والكبرياء والقهر الى أوليائه - وهم أعداء الله - ليخرج أرواحهم من النور الروحاني الى ظلمات الصفات النفسانية باخفاء أنوار أخلاقها في ابداء ظلمات أخلاق النفس عليها، ليستحق بها دركة أسفل السافلين وغاية البعد عن الحق .

فمنهم المطرودون الذين حقّ عليهم القول وهم أهل الظلمة والحجاب الكلي، المختوم على قلوبهم أزلاً كما قال تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون﴾ (الأعراف: ٧: ١٩٧) الى قوله: ﴿كالأنعام بل هم أضل﴾ وقوله تعالى: ﴿ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (هود: ١١: ١١٩) .

وقد ورد في الحديث الرباني: «خلقت هؤلاء للجنة ولأبالي وهؤلاء للنار ولأبالي»<sup>١</sup> . ومنهم المنافقون الذين كانوا مستعدين في الأصل قابلين للنور بحسب الفطرة والنشأة، ولكن احتجبت قلوبهم بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل وارتكاب المعاصي ومباشرة الأعمال البهيمة والسبعية، ومزاولة المكائد الشيطانية حتى رسخت الهيئات الغاسقة والملكات المظلمة في نفوسهم، وارتكمت على أفئدتهم، فبقوا شاكين حيارى تائهين، قد حبطت أعمالهم وانتكست رؤوسهم، فهم أشدّ عذاباً وأسوء حالاً من الفريق الأول لمنافاة مسكة استعدادهم وقوة نفوسهم لحالهم كما تقدم ذكره .

والفريقان هم أهل الجحيم والمتعلقين بالهيولى، أحدهما أهل الحجاب والآخر أهل العقاب .

وقد أشار سبحانه في أوائل القرآن الى الفريق الأول بقوله: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ (البقرة: ٢: ٧٠) والى الفريق الثاني بقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم

١ . خلقت هؤلاء للجنة و يعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار و يعمل أهل النار يعملون . البحار الأنوار ، ج ٥ ، ص ٢٦٩ ؛ مسند أحمد ، ج ١ ، ص ٤٤ ؛ سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٤١٤

وما يشعرون\* في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴿البقرة (٢): ٨-١٠﴾ .

فانظر كيف كشف الله عن حال هذين الفريقين من أصحاب النار وبين وخامة عاقبة كل من الطائفتين في عاقبة الدار، وأثبت لكل منهما نوعاً يخصه من الشر والوبال وفساد ما يلزمه في الآخرة والمآل:

فالفريق الأول لما كانوا من الأشقياء الذين هم أهل القهر الالهي، لا ينجح فيهم النصيح والانذار، ولا سبيل الى خلاصهم من النار ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ (يونس (١٠): ٣٣) ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ (غافر (٤٠): ٦) .

سدّت عليهم الطرق، وأغلقت عليهم الأبواب، إذ القلب هو المعشر الالهي الذي هو محل الالهام، فحجبوا عنه بختمه، والسمع والبصر هما المشعران للانسان اللذان هما بابان للفهم والاعتبار، فحرموا عن جدواهما، لا تمتنع نفوذ المعنى فيهما الى القلب، فلا سبيل لهم في الباطن الى العلوم الحقيقية الكشفية والمعارف الربانية الذوقية، ولا في الظاهر الى العلوم التعليمية والآداب الكسبية، فجسوا في سجون الظلمات، وبقوا حيارى في أيدي الشهوات المتراكمات الموجبة للدثور والممات، فما أعظم عذابهم وأغلظ حجابهم!

و أما الفريق الثاني من الأشقياء الذين سلب عنهم الايمان مع ادعائهم له بقوله: ﴿آمنّا بالله﴾ وذلك لأن محل الايمان هو القلب المصفى والروح المجرد بالرياضة والمجاهدة مع القوى المدركة والمحركة وصرفها في الأفكار القدسية والأنظار الحكيمية، لا اللسان بفصاحة البيان وعلوم العربية وغرائب النكت في محاسن الكلام، فإن الايمان متعلق بعلم الحال لا بطلاقة اللسان في المقال ﴿قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾ (الحجرات (٤٩): ١٤) .

ومعنى قولهم ﴿آمنّا بالله وباليوم الآخر﴾، ادعاء علم التوحيد وعلم المعاد، الذين هما أصلان عظيمان من أصول الدين، وأساسان كبيران من معارف الحق واليقين، أي: لسان من المشركين المحجوبين عن الحق، ولا من أهل الكتاب المحجوبين عن الدين والمعاد، لأنّ أعتقاد أهل الكتاب في باب المعاد ليس مطابقاً للحق .

وهؤلاء المنافقون قد غفلوا عن أن حقيقة الايمان بالله واليوم الآخر ليس ممّا يتعلّق بالأقوال، بل هي ممّا أنعمه الله من الحكمة على من سدّ على نفسه باب وسوسة الشيطان، وأزال عن ضميره الشكوك والأوهام، ففتح على قلبه باب المعرفة والرحمة والرضوان، وأفاض الله عليه أنواع كرامته عاجلاً وأجلاً، فمن ذلك يفتح الله تبارك وتعالى باباً من خزائن حكمته وهي مختصة بمشيئته لآبائهم وبناتهم، وجمعهم أسبابها من الكتب والأسانيد العالية من الاساتيد، فإنه تبارك وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء .

وظنّ قوم من الفلاسفة وأرباب البحوث والأنظار أن الحكمة يحصل بمجرد التكرار، أم هي من نتائج الأفكار، و ما فرقوا بين المعقولات والحكميات الالهيات، فالمعقولات مشتركة بين أهل الدين وأهل الكفر، وبين المقبول والمردود .

فالمعقول ما يحكمه العقل ببرهان عقلي، وهذا ميسر لكلّ عاقل بالدراية وبالقرائة والرواية، فمن صفى عقله عن شوب الوهم والخيال، فيدرك المعقولات بالبرهان دراية، ومن لم يصف عقله عن هذه الافات، فهو يدرك المعقول قرائة بتفهم أستاذ مرشد .

فأمّا الحكمة الالهية فليست من هذا القبيل، فإنّ العقول عن دركها بذواتها محتجبة، والبراهين العقلية والنقلية عنها محتبسة، فإنها مواهب الحق ترد على قلوب الأنبياء والأولياء عند تجلّي صفات الأحديّة وفناء أوصاف الخلقية، فيكاشف الأسرار بحقائق معاني أورتها تلك الأنوار، كما قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»<sup>١</sup> أي: الحكم، فامارة صحتها معادلتها بحقائق القرآن، بل هي عينها كما قال ﷺ: «أوتيت القرآن وما يعدله»<sup>٢</sup> أشار بهذا الى الحكمة .

وقد فسّر سهل بن عبد الله التستري الحكمة وقال في تأويلها: هي السنة، فحقيقة الحكمة نور من أنوار صفات يؤيد الله به عقل من يشاء من عباده، فيكون له كما قال تعالى: ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ (النور: ٢٤: ٣٥)، فمن أكرم بهذا النور فقد أعطى كلّ حبور وسرور و أوتى جوامع الحكمة خيراً كثيراً، كما قال تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ (البقرة: ٢: ٢٦٩) .

فافهمم واغتنم واجتهد أن تتيقظ به، لتكون من ذوى الألباب، لأنه قال: ﴿وما يذكر إلّا

١. كنز العمال، ج ١، ص ٣٧١، ح ١٦٢٥؛ عوالي اللئالي، ج ٤، ص ١٢٠، ح ١٩٤

٢. في المصدر: مثليه أو ومثله معه

٣. مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٩٣؛ مسند أحمد، ج ٤، ص ١٣١؛ كشف الخفاء، ج ٢، ص ٢٢٣

أولوا الألباب ﴿البقرة (٢): ٢٦٩﴾ وهم الذين لم يقنعوا بقشور العقول باكتساب ظواهر المنقول ، بل سعوا في طلب لبها بمتابعة الأنبياء ﷺ ، فأخرجوهم من ظلمات قشور العقول الانسانية الى نور لب المواهب الربانية ، فيتحقق لهم أن ﴿من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (النور (٢٤): ٤٠) ، فانتبه يا مغرور المفتون بدار الغرور من مرقد الجهالة الحاصلة من الشعف والسرور بما عندك من القشور ، فلا يغرنك بالله الغرور .

ولنعد الى ما قصدناه ونرجع الى ما فارقناه من شرح الفريق الثانى من أهل العقاب ، الذين أوتوا نصيباً من الكتاب حسبما كشف الله فضائحهم فى الاية - الثانية المنقولة آنفاً من الكتاب .

فاعلم أن الكفر هو الاحتجاب والحجاب - كما أشرنا اليه إماً عن الحق كما للمشركين وإماً عن الدين كما لأهل الكتاب ، والمحجوب عن الحق محجوب عن الدين الذى هو طريق اليه ضرورة ، وإماً المحجوب عن الدين فقد لا يحجب عن الله ، فهؤلاء المنافقون المخادعون لله وللمؤمنين ادعوا رفع الحجابين ، فكذبوا بسلب الايمان عن ذواتهم ، أى ليسوا بمؤمنين ماداموا كذلك .

ثم إن فى الآية دقيقة وهى أن المخادعة لكونها صيغة مفاعلة : «استعمال الخدع من الجانبين» وهو اظهار الخير واستبطن الشر ، ومخادعة الله مخادعة رسوله لقوله : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (النساء (٤): ٨٠) وقوله : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (الأنفال (٨): ١٧) ، ولأنه ﷺ حبيب الله وقد ورد فى الحديث «لا يزال العبد يتقرب الى الله» - الى آخر الحديث - .

فخداع المنافقين لله وللمؤمنين اظهار الايمان والمحبة واستبطن الكفر والعداوة ، و خدع الله والمؤمنين ايأهم مسالمتهم واجراء أحكام الاسلام عليهم بحقن الدماء وحصن الأموال وغير ذلك ، و ادخار العذاب الأليم والمآل الوخيم وسوء المعيشة لهم ، وخزيهم فى الدنيا لخسة حالهم وترددهم [الى] أبواب السلاطين لطلب الاشتهار ، وتحملهم المشاق فى الأسفار و التعب فى الجمع والادخار ، كل ذلك لاقتضاحهم باخبار الله تعالى وبالوحي ، وجحودهم العلوم الربانية والأسرار المعادية .

لكن الفرق بين الخداعين أن خداعهم لا ينجع إلّا فى أنفسهم باهلاكها بموت الجهل و ايراثها الوبال والنكال بازدياد الظلمة و الحمق بالعناد والنفاق ، و اجتماع أسباب الهلاك

والبعد عن الرحمة لطلب الرياسة والاخلاد في الأرض والركون الى الشهوات .  
وأما في نفس المؤمنين بالحق فتوجب خداعهم إياهم زيادة في تنوير قلوبهم وتصفية  
ضماثرهم لتخليتهم في العبادات ، وتجردهم الى طلب الحق بالطاعات ، واشتغالهم بذكر  
الله في الخلوات ، ومواصلة الأوراد على الدوام في الساعات ، وعدم التفاتهم الى ماسوى  
الله تعالى للمحاجات اللازمة الاشتغال .

وخدع الله إياهم يؤثر فيهم أبلغ تأثير ويوبقهم أشد إيقاقاً لقوله تعالى : ﴿ ومكروا ومكر الله  
والله خير الماكرين ﴾ (المنافقون ٦٣ : ٥٤) وهم من غاية تعمقهم في جهلهم وحمقهم مائجون  
بذلك الأمر الظاهر لمرض قلوبهم وسكر نفوسهم كما أشار اليه سبحانه في الآية المنقولة :  
﴿ في قلوبهم مرض ﴾ أى : شك و نفاق ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ (البقرة ٢ : ١٠) للمؤمنين واذلاله  
للمنافقين ، والرذائل كلها أمراض القلوب ، لأنه أسباب ضعفها وآفات في أفعالها الخاصة ،  
إلا أن الجهل أعظم الأمراض ؛ لأنه مما يوجب الهلاك في العاقبة .

### البصيرة السابعة

في توضيح القول بأن المنافقين أسوأ حالا وأشدّ عذاباً من الكافرين ،  
وإن كان هؤلاء أحسن رتبة وأدون منزلة منهم

اعلم أن الجهل المركب لكونه صفة وجودية يصحبها العدم له نوع رتبة ، وأما الجهل  
البيسط لكونه صفة عدمية منزلته منزلة الأعدام ، والعدم شر محض بالذات والوجود الذى  
يصحب العدم شرّاً بالعرض مشوب بالخير ، فبالنظر الى الواقع لا شر ولا خسة أبلغ مما  
يكون الشيء عدماً أو معدوماً ، وأما بالنسبة الى من يتعدّب و تألم بالأمر المولم الوجودى  
ففقده عنه أولى من ثبوته له .

فشرارة المطرودين فى الأزل وإن كان أعظم لكونهم أبعد من منبع الخير والجود ، وأوغل  
فى الشرّ والمصيبة ، وأدخل فى العدم والخسة والجهالة إلا أنهم لا يحسون بما يولمهم  
ولا يجدون شرية ما يوبقهم ويعذبهم ، لعدم صفاء نفوسهم وفعلية عقولهم كالعضو الميت  
أو المفلوج والخدر بالنسبة الى مايجرى اليه من القطع والجرح والكى وغيرها من الآلام .  
وأما المنافقون فلثبوت استعدادهم فى الأصل وبقاء ادراكهم واستدعائهم للكمال فى  
هذه الدار وتشوقهم الى العلو والاستكبار ، يجدون شدة الألم باكتساب الأمر المودى

المؤلم ، فلا جرم كان عذابهم مؤلماً سبباً عمماً اكتسب قلوبهم من المرض العارض المزمن المؤلم الذى هو الكذب بآيات اللّٰه والجهل بالمعارف الربوبية ولوازم الايمان ، والكفر بحقائق القرآن مع دعوى الكمال بادعاء المعرفة بأسرار المبدأ المتعال وتهيج الفتن والعداوة والبغضاء بين الناس ، وتنظيم أمور الدنيا لأنفسهم خاصة وأنهما كهم فى اللذات ، وملازمة أبواب السلاطين والحكام لطلب الحطام والشهوات ، واحتجابهم بالمنافع الجزئية والمصالح البدنية والملاذ الحسية عن المصالح الكلية واللذات العقلية ، وحرمانهم عمماً يرد على قلوب السلاك والواصلين من الحالات الكشفية الجنانية والواردات الذوقية الملكوتية .

الى غير ذلك من الأفعال والأعمال ، التى هى من عادات علماء السوء ، الذين أوتوا نصيباً من الكتاب واكتفوا بقشور من العلوم الجزئية التى وصلت اليهم بالنقل والرواية من أهل التكلم والخطاب ، وقنعوا بصورة الأعمال من غير تفقد القلوب واصلاح النفوس عن الوسواس ، وتتبع آثار أئمة الكشف والطهارة من أهل بيوت النبوة والولاية صلوات اللّٰه عليهم أجمعين و متابعة قلوبهم و ضمائرهم فى طلب مرضات الله والاجتناب عن محارمه ، والزهد عن هذه الدار ومنزل الأشرار لطلب المنزلة عند اللّٰه ومقربيه وملكوته ومجاوريه فى دار القرار ومعدن الأخيار والأبرار .

وأشار سبحانه فى الآيتين المنقولتين الى ما ذكر من كون الكافرين أعظم عذاباً والمنافقين أشدّ ألماً بوجه لطيف ، حيث وصف عذاب الفرقة الأولى بـ«العظمة» وعذاب الفرقة الثانية بـ«الايلام» .

وفى المقام اشارة أخرى وهى أنّ الفرقة الأولى لكونهم أشدّ احتجاباً وأعظم ابعاداً عن الحق ، فهم أشبه بأن يكونوا من جنس أصحاب النار وأهل جهنم بحسب الفطرة الأصلية ، بخلاف الفرقة الثانية ، فإن لهم جهة من القرب والمنزلة بحسب جوهر الاستعداد ، ولكن ظلموا أنفسهم باكتساب الرذائل والاعتقاد بزخارف عالم الأضداد ، فالنار للأولى كالمنزلة والمأوى ، وللثانية كالسجن والمحبس للمحنة والبلوى .

وبالجمله فرق بين كون الشىء من أصحاب النار وكونه معذباً بها ، وليس من ضرورة كون الشىء مصحوباً بالشىء المؤلم أن يكون متألماً به ، أو لاترى أنّ الزبانية ليسوا معذبين بالنار مع كونهم فيها ، وهم تسعة عشر قبيلة من ملائكة العذاب الذين إذا قيل لهم : ﴿خذوه

فغَلَّوْهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ ﴿الْحَاقَّةُ (٦٩): (٣١)﴾ ابْتَدَرُوهُ سِرَاعاً وَلَمْ يَنْظُرُوهُ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ أَعْوَانٌ وَخَدَمٌ مِنْ سَدَنَةِ جَهَنَّمَ مَنْ دُونَ أَنْ يَتَعَذَّبُوا بِهَا فِيهَا ، بَلْ فِيهَا نَعِيمٌ مِمَّنْ وَبِهَاجَتِهِمْ ، وَبِالْمُبَاشَرَةِ مَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ حَصَلَتْ سُرُورُهُمْ وَلَذَّتْهُمْ ، لَكُنْ ذَلِكَ غَايَتُهُمْ وَفَائِدَتُهُمْ مِنْ تَعَذِّيبِ الْمُجْرِمِينَ وَأَخَذَهُمْ وَتَصَلَّيْتَهُمُ الْجَحِيمَ ، وَسَقَيْتَهُمْ مَاءَ الْحَمِيمِ وَشَرِبَ الْهَيْمَ .



### البصيرة الثامنة

في الكشف عن صيرورة الروح الانسانية من أصحاب النار بعد أن لم يكن منها ، بمزاولة أفعال الأشرار واكتساب ملكات الكفار والفجار ، من الأعمال الشهويّة والغضبويّة والشيطانيّة ، التي هي من صفات البهائم والسباع والشياطين قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ وَأُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٥) : (٦٠) وأشار بقوله : ﴿ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ﴾ ، إنهم مسخوا عن الفطرة الأصليّة ، وانسلخوا وانقلبوا كل طائفة منهم الى نوع ماغلبت فيها صفات ذلك النوع ، حتّى صارت حقيقتها حقيقة واحدة وصورة ماهيتها صورته .

وهذا معنى اللعن والطرود والغضب عند العرفاء ، أى : صيرورة نوع الشريف نوعاً خسيساً ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ أى : عن طريق الحق ، لأن القردة والخنازير إنّما كانت ضالة عن طريق طلب الحق لعدم الاستعداد ، وأمّا هؤلاء الذين انسلخوا عن الفطرة فإنهم كانوا مستعدين لطلب الحق وسلوك سبيله ، فهم شرّ مكاناً كما قال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبِكْمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأَنْفَالُ: (٨): ٢٢) وأضلّ سبيلاً لا بطلال الاستعداد للوصول ، كما قال : ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ .

وتحقيق هذا المقام أنّ كلّ إنسان - بحسب الفطرة - روحه التي هي من عالم القدس والخير والرحمة قابل للسعادة الأبدية ، وإنّما ينسلخ عن هذه الفطرة بحسب أعمال قوى يخصصه : قوة الشهوة ، وقوة الغضب ، وقوة الوهم المنازعة للقوة العاقلة للروح مع كونها خادمة لها ، خلقها الله تعالى لأن يستعملها الروح فى طريق سفرها الى الله تعالى لتحصيل المراد للمعاد باستخدامها .

أمّا الشهوة فلجلب ما يتغذى به وينفعه لحفظ البدن الذى بمنزلة المركب لسفرها .

وأما الغضب فلدفع ما يضاذه ويمانعه ويقطع طريقها .  
وأما الوهم فلتحصيل العلوم الضرورية والحدود الوسطية التي يتوقف عليها كماله ،  
وذلك الكمال معرفة نفسه التي هي أم الفضائل و معرفة مبدئه الذي منه بدو وجوده ، و  
معرفة اليوم الآخر الذي غاية رجوعه ، ومعرفة الملائكة والرسل صلوات الله عليهم ، الذين  
هم وسائط جوده ، ومعرفة كتب الله والأئمة الطاهرين المهديين - سلام الله عليهم أجمعين  
- العارفين بحقائق التنزيل وأسرار التأويل التي هي واسطة كمال وجوده .

وقد أشار النبي ﷺ الى هذا المعنى بقوله : «إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي» .<sup>١</sup>  
وتحقيق كون معرفة الأئمة والقرآن داخلة في قوام الايمان مقومة لحقيقة الانسان مما  
حققناه في مقامه بوجه لامرية فيه ولا ريب يعتريه .

فالروح الانسانية متى كانت قواه الثلاث التي هي رؤساء جنوده الباطنية وخدمه وحشمه  
مسخرة له منقادة مقهورة مطيعة لأوامره ونواهيه ، يكون حالته مستقيمة وبصيرته سليمة من  
العمى وسبيله مأمونة عن الغي والضلال ، وعاقبته محفوظة عن الشر والوبال .

ومتى كانت هي مستولية عليه ، والشهوات غالبة فيه ، والوسواس مضلة إياه ، والدنيا  
بزخارفها مزينة في نظره مرغوبة لديه مؤثرة فيه مستترية لرقبته ، والأغلال في عنقه ، والأوزار  
مثقلة بظهره ، والسلاسل والتعلقات في أيديه وأرجله كان أسيراً بيدها محكوماً بحكمها ، كل  
منها يجره في تيسير أسباب ما يستدعيه ، والتدبير فيما يشتاقه ويشتهي .

فالشهوة تجره في تحصيل الشهويات المستلذات ، والغضب يستعمله في أفعال  
الانتقامات ودفع الخصومات ، فصار الروح شيطاناً مريداً بالفعل بعدما كان ملكاً كريماً  
بالقوة ، يستعمل فكره وتمييزه الذين أعطاهما الله لتدبير الآخرة والسعي لمرضاته في استنباط  
وجوه الشر ، ويتوصل بها الى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ، واظهار الحقيقة في معرض  
البطلان ، وترويج الشر في موضع الخير .

وكل إنسان ففيه شوب من هذه الأصول الأربعة - أي : الملكية والشيطنة والسبعية  
والبهيمية - من جهة روحه ونفسه وشهوته وغضبه - وكان المجموع في عالم الانسان  
خنزير ، وكلب ، وشيطان ، وحكيم . فالخنزير هو صورة الشهوة في أي مادة ومقدار ووضع  
و شكل كانت ، والكلب هو صورة الغضب في أي مادة كانت .

ونحن قد حققنا في مباحث الماهية ولواحقها أن حقيقة كل شيء هي صورته التي بها هو هو، والمادة إنما تحمل ماهيته إذا كانت ضعيفة الوجود في هذا العالم الأسفل الذي فيه دثور الأشياء وعجزها وضعف صورها لأجل علوق المواد والظلمات، وبيناً أيضاً بالوجوه الكشفية والبرهانية أن للأشياء التي تكون في هذا العالم نشأة ثانية ونحوها آخر من الوجود، وأن للصور النوعية عالماً آخر يكون وجوداتها في ذلك العالم مستغنية القوام عن المواد العنصرية، بل قائمة بذواتها موجودة بوجود فاعلها ومنشئها ومبعثها - لا بوجود قابلها وميلها ومغنيها.

وذلك الوجود الأخرى على ضربين، لأن تلك الصور إما عقليات صرفة ومفارقات محضة مجردة عن المقدار والشكل، وإما صور مقاديريات، فالأولى لكونها نورانية محضة تدرك بالعقول الصافية - وهي جنّة المقربين، وأما الثانية فلكونها تدرك بالحواس الأخرى الباطنية من السمع والبصر والشم والذوق واللمس الأخرى - التي هي بواطن هذه الحواس الأوليات؛ لأنها باقية بعد الموت وهذه فانية، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ (ق(٥٠): ٢٢)، فبعضها نورانية - هي جنّة السعداء من أصحاب اليمين - وبعضها ظلمانية - هي جهنم الأشقياء من أصحاب الشمال -.

وجمهور الفلاسفة والمتكلمون وأكثر علماء المذاهب ذاهلون عن هذين العالمين، وفي الدهول عنهما ضرر عظيم بالانسان، وفي الجهل بهما حجاب كثيف وغطاء غليظ له عن كشف معارف الايمان وحقائق القرآن.

هذا، ولنرجع الى ما كنا فيه من أن الانسان قد اصطحبت في عالمه ونظام خلقته أربعة شوائب، ولذلك اجتمعت عليه أربعة أصناف من الأوصاف: السبعية، والبهيمية، والشيطانية، والملكية. فهو من حيث تسلط كل منها عليه يفعل أفعال نوع يكون تلك الصفة لازمة لذاته ناشية عن حقيقته، الى أن يغلب عليه احدى هذه الصفات بأن يصير خلقاً له ومملكة راسخة في نفسه صعبة الزوال، فيكون الانسان في آخر الأمر ومنتهى العمر حكمه حكم ذلك النوع، بل ينقلب حقيقته يوم الآخر الى حقيقة ذلك، يكون صورته عند الحشر بعينها صورته كما سنوضحه انشاء الله تعالى.

ونريد أن نبين ذلك وندل على تحقيقه بطرق ثلاث من الحكمة البرهانية، والخطابية الظنية، وصنعة المجادلة الالزامية كما قال تعالى سبحانه: ﴿أدع الى سبيل ربك بالحكمة

والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴿النحل (١٦): ١٢٥﴾. ولنستدرج فى البيان من الأدنى الى الأعلى :

فالأول ما يستحسنه الجماهير وتقبله الأسماع من النقول الواردة فى باب انقلاب صور الأشياء وهيئاتهم يوم الآخرة الى ما يناسب أفعالهم ونياتهم من القرآن والحديث والأخبار :  
أما القرآن : فكقوله تعالى : ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ (الأعراف (٧): ١٧٩) وليس المراد أنهم كذلك بحسب هذه النشأة الدنياوية ، بل فى النشأة الآخرة التى هى دار ظهور الأشياء على ما هى عليها ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ (الطارق (٨٦): ٩) وقوله : ﴿ ناكسوا رؤسهم ﴾ (السجدة (٣٢): ١٢) وقوله : ﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون ﴾ (يس (٣٦): ٨) وقوله : ﴿ أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ﴾ (الملك (٦٧): ٢٢) .

ولاشكّ عند ذوى البصائر أنّ مجعولات الحق فى الدار الآخرة من الأشكال والهيئات إنّما هى أمور طبيعية لازمة ليست كصناعات يمكن زوالها وانفصالها ، فىكون كالأعضاء فى كونها طبيعية - لا كالألبسة القابلة للانخلاع والانفصال - وإذا كان كذلك فاختلاف الأبدان فى هيئة الاعضاء وخلقة الاشكال دليل اختلاف النفوس فى الحقائق .

وكقوله تعالى : ﴿ كأنهم حمر مستنفرة ﴾ فرت من قسورة ﴿ المدثر (٧٤): ٥٠-٥١) وقوله تعالى : ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ (البقرة (٢): ٦٥) ، يعنى بحسب النفس مع بقاء البدن على صورته الظاهرة ، وإلا يلزم التناسخ المستحيل ، فهم صاروا لانحطاطهم عن العالم العلوى الانسانى الى الأفق السفلى الحيوانى قردة مشابهين للناس فى الصورة وليسوا بهم فى النفس والعقل ، خاسئين : أى بعيدين طريدين .

والمسخ فى الحقيقة حق غير منكر فى الدنيا والآخرة ، كما وردت به الآيات والأحاديث ، وقد روى عنه ﷺ المسوخ ، ثم عدّهم وبين أعمالهم ومعاصيهم وموجبات مسخهم .  
حاصله : أنّ من غلب عليه وصف من أوصاف الحيوانات ورسخ فيه بحيث أزال استعداده الأسمى ويمكن فى طباعه ، وصار صورة ذاتية له ، كالماء الذى منبعه معدن الكبريت مثلاً ، صار طباعه ذلك الحيوان ونفسه نفسه ، فاتصلت عند المفارقة ببدن يناسب صفته ، فصارت صفته صورته - كما ستوضح .

وقوله: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ (الأسرار (١٧): ٩٧) أى على صور الحيوانات المنتكسة الرأس . وقوله تعالى: ﴿قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ (فصلت (٤١): ٢١) وقوله تعالى: ﴿تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (النور (٢٤): ٢٤) يعنى أن صورة الكلب مثلا ولسانه - أى صورته الذى فعل لسانه - تشهد بعمله الذى هو الشر، وكذا غيره من الحيوانات الهالكة تشهد عليها أعضائها بأخلاقها الذميمة وأفعالها السيئة .

وكقوله: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (الجاثية (٤٥): ٢١) ، ولفظ « الجعل » فى كلام الله أكثر ما يستعمل فى الذاتيات دون العوارض ، مثل قوله: ﴿خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ (الأنعام (٦): ١) ، ﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ (المائدة (٥): ٦٠) ، وكقوله ﴿يوم يسبّحون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾ (القمر (٥٤): ٤٨) ، وقوله: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ (الرحمن (٥٥): ٤١) .

وفى هذه الآيات دلائل واضحات على أن المجرمين انقلبوا فى صورهم الى صور الحيوانات الحجم المنتسكة الرأس ، التى فيها علامات الاحتجاب بالجحيم والانباس فى الظلمات عن لقاء الله ومعرفته ، حيث لم يتحقق فيها علامات الانفتاح وطلاقة الوجه وانكشاف الجسد كما فى المسجونين والمحبوسين بخلاف الانسان ، إذ فيه علامة أهل الجنة الذين هم جرد مرد مكحلون .

ثم إن من علامات أهل الجحيم التى توجد فى أعجام الحيوانات عقد ثلاث أيضاً ، دالة على احتجابها وتقييدها بالقيود والأغلال :

إحداها: عقدة العمى فى الأعين عن مشاهدة آيات الله فى الافاق والأنفس وعن رؤية كتاب الله وقراءته .

وثانيتها: عقدة الصمم فى الأذان عن استماع البيان والبرهان لكلامه .

وثالثها: عقدة الانتكاس لنفوسها والانقلاب لأبدانها المعلقة الى أسفل .

ولهذه العقد الثلاث عقد ثلاث أخرى شاهدة عليها :

إحداها: عقدة اللسان بشهادة صمم الأذن ، فان الأصم الفطرى أبكم لامحالة .

والثانية: عقدة اليدين ، غلّت أيديهم بما لعنوا ، بشهادة عمى العين ، فان الأعمى الفطرى

لا يمكن أن يكتب .

والثالثة: عقدة الاستلقاء فى البدن بشهادة الانتكاس فى النفس .  
فهذه الأمور الثلاثة شواهد على تلك ، إذ من المقرّر عند الجمهور أنّ اللسان خليفة  
الأذن ، واليد الكاتبة خليفة العين ، والبدن خليفة النفس ، فانقلابه دليل انتكاسها وانسلاخها  
عن الفطرة ، كما أنّ انحناء الغلاف دليل لانحناء السيف .  
وأما الحديث :

فقد روى عن النبى ﷺ أنّه قال : «يحشر الناس على وجوه مخلفة» أى على صورة مناسبة  
لأخلاقهم ونيّاتهم المختلفة .

وكقوله ﷺ : «كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون»<sup>١</sup> ، ولاخفاء فى أنّ بعض الناس  
لا يعيشون إلّا كالبهائم ، وبعضهم كالسباع ، وبعضهم كالشياطين ، فيكونون يوم المحشر على  
صور أعمالهم ومعاصيهم .

وروى أيضاً عن النبى ﷺ ما معناه : «أنّه يحشر من خالف الامام فى أفعال الصلوة ورأسه  
الحمار ، فانه إذا عاش فى المخالفة مع الامام وهى عين البلاهة والحمارية تمكّنت و  
رسخت فيه هذه الصفة ولتتمكن البلادة والحماقة فيه يحشر على صورة الحمار .<sup>٢</sup>

وروى الشيخ الجليل عماد الاسلام محمد بن يعقوب الكلينى - رحمة الله - فى كتاب  
الكافى بسنده المتصل الى أمير المؤمنين ﷺ ، أنّه قال - فى حديث طويل - : «فان كان [لله]  
ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحبهم<sup>٣</sup> منظرأ وأحسنهم رياضاً فقال : أبشر بروح وريحان و  
جنة ونعيم ، ومقدمك خيرمقدم . فيقول له : من أنت؟ فيقول : أنا عمك الصالح» .

ثمّ قال ﷺ : «وإذا كان لربّه عدواً فانه يأتية أقبح من خلق الله زياً وأنتنه ريحاً ، فيقول :  
أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم .<sup>٤</sup>

وروى أيضاً فى الكافى فى حديث آخر عن الامام أبى عبدالله ﷺ : «فيقول : أنا رأيك  
الحسن الذى كنت عليه وعمك الصالح الذى كنت تعمله» .<sup>٥</sup>

١ . عوالى اللئالى ، ج ٤ ، ص ٧٢ ، ح ٤٦

٢ . مسند أحمد ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ؛ سنن الدارمى ، ج ١ ، ص ٣٠٢

٣ . فى المصدر : أحسنهم

٤ . الكافى ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ ، ح ٤٧٠٨

٥ . الكافى ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ ، ح ٤٧٣١

وهذان الحديثان عن أهل البيت عليهم السلام صريحان في تجسّم العقائد والأعمال في النشأة الأخرى، والاعتقاد هو الأصل ومنه يتمثل ويتصوّر ذات الشخص، والعمل هو الفرع ومنه يحصل القراء والأصحاب والحواشى والتوابع إن خيراً فخير وإن شراً فشر .  
ومما يدلّ على ما ذكرناه ما روى أيضاً فى الكافى فى باب ادخال السرور على المؤمن عن أبى عبد الله عليه السلام قال - فى حديث طويل - : « إذا بعث الله المؤمن عن قبره خرج معه مثال يقدمه أمامه ، كلّم رأى المؤمن هو لا من أهوال يوم القيامة قال له المثال : لا تفزع ولا تحزن وأبشر بالسرور والكرامة من الله تعالى حتى يقف بين يدى الله ، فيحاسبه حساباً يسيراً ويأمر به الى الجنة و المثال أمامه فيقول له المؤمن رحمك الله نعم الخارج كنت معى من قبرى و ما زلت تبشّرنى بالسرور و الكرامة من الله حتى رأيت ذلك . فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا السرور الذى كنت أدخلته على أخيك المؤمن فى الدنيا ، خلقنى الله منه لأبشرك »<sup>١</sup> .

ومما ورد فى روايات أصحابنا الاماميين - رضوان الله عليهم أجمعين - ما روى عن قيس بن عاصم ، قال : وفدت مع جماعة من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وآله فدخلت عليه و عنده الصلصال بن الدلهمس ، فقلت : « يا نبى الله عظنا موعظة نتنفع بها فانّا قوم نسير فى البرية » . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « يا قيس إن مع العزّ ذلاً ، و إن مع الحياة موتاً ، و إن مع الدنيا آخرة ، و إن لكلّ شىء رقيباً ، وعلى كلّ شىء حسيباً ،<sup>٢</sup> و إن لكلّ أجل كتاباً ، و إنّه لا بدّ لك يا قيس من قرين يدفن معك وهو حى ، و تدفن معه و أنت ميت ، فان كان كريماً أكرمك ، و إن كان لثيماً أسلمك ، ثم لا يحشر إلّا معك و لا تحشر إلّا معه ، و لا تستلّ إلّا عنه ، فلا تجعله إلّا صالحاً ، فانه إن صلح أنست به و ان فسد لا تستوحش إلّا منه وهو فعلك » .

فقال : يا نبى الله أحب أن يكون هذا الكلام فى أبيات من الشعر ، نفتخر به على من بيننا من العرب وندّخره . فأمر النبى صلى الله عليه وآله من يأتيه بحسّان ، فاستبان لى القول قبل مجىء حسّان ، فقلت : « يا رسول الله قد حضرنى أبيات أحسبها توافق ما تريد » فقلت :

١ . ثواب الأعمال ، ص ١٥٠

٢ . فى المصدر : و إن لكلّ شىء حسيباً ، و على كلّ شىء رقيباً

تخير خليطاً من فعالك إنما قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل  
فان كنت مولا بشىء فلاتكن بغير الذى يرضى به الله تشغل  
فلن يصحب الانسان من بعد موته ومن قبله إلا الذى كان يعمل<sup>١</sup>

وفى هذا الحديث فوائد شريفة فوق ما نحن بصده من انقلاب الانسان الى ما يوافق اعتقاده ويناسب أعماله أسرار علمية لطيفة، ومعارف الهيّة، ورموز نبويّة لا يفى بكشفها وتوضيحها التعليم والبيان، بل لا يلوح تحقيقها إلا لأهل الله من جهة الكشف والعيان لا بطريق الحجّة والبرهان .

ثم ممّا يدلّ على هذا المطلب من الأخبار المشهورة ما روى : «أنّ الناس يحشر على نياتهم وأنّ بعض الناس يحشر على صورة تحسن عندها القردة والخنازير . فعليك بالتقوى ثمّ بالتقوى .

وأما الطريقة الثانية :

فكما ذكره صاحب احياء العلوم حيث قال : «أنّ خاصيّة الانسان العلم والحكمة، وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله، فبه كمال للانسان وفى كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال، فالبدن مركب للنفس والنفس محلّ للعلم، والعلم هو المقصود من الانسان وخاصيته التى لأجلها خلق، فإنّ الانسان يشارك الحمار والفرس فى أمور يوافقها ويفارقها فى أمور هى خاصيته، وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين .

والانسان أولاً على رتبة بين البهائم والملائكة، فمن يستعمل قواه فى العلم والعمل فقد شبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمّى ملكاً وربانياً، كما قال تعالى : ﴿إنّ هذا إلاّ ملك كريم﴾ (يوسف: ١٢) : ٣١، ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام، فقد انحطّ الى حضيض أفق البهائم، فيصير إمّا أكولا كثور، وإمّا شراً كخنزير، وإمّا ضريباً ككلب، أو حقوداً كجمل، أو متكبراً كنمر، أو ذاروغان كثعلب، أو يجمع ذلك كلّه كشیطان .

وقال : «فهو من حيث أنّ الله سلط عليه الغضب يتعاطس أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث سلط عليه الشهوة يتعاطى أفعال

١ . الأمالى للصدوق، ص ٥١

٢ . المحاسن، ج ١، ص ٢٦٢، ح ٣٢٥؛ الكافى، ج ٥، ص ٢٠، ح ١



البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره، ومن حيث سلط عليه الروح وهو أمر ربّاني كما قال الله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ (الاسراء: ١٧): ٨٥، فإنه يدعى الاستعلاء على الأشياء بالحكمة والمعرفة والاحاطة بحقائق الأمور، ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز والروية واستعمال الحيل والتدابير الجزئية حصلت فيه شيطانية يستعمل الجريزة في استنباط الشرور والحيوانية ويتوصل بها الأغراض النفسانية فيتعاطى أفعال الشيطان.

ففي باطن الانسان أمور أربعة: خنزير وكلب وشيطان وحكيم. فالخنزير هو الشهوة، فإنه لم يكن الخنزير مذموماً للونه وشكله وهيئته، بل لجشعه وقلبه وحرصه. والكلب هو الغضب، فإن السبع الضاري والكلب العقور ليسا سبعاً وكلباً باعتبار الهيئة واللون والشكل، بل باعتبار روح معنى السبعية والضراوة والعدوان والعقر، وفي باطن الانسان ضراوة السبع [وغضبه] وحرص الخنزير وشبقه.

فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر، والسبع بالغضب الى البغى والظلم والايذاء، والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع يغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه.

والحكيم الذي هو مثال العقل مأثور بأن يدفع كيد الشيطان ويقطع وسوسته ومغلطته بالبرهان، حتى ينكشف تليسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق، وبأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه، إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة - ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه، ويجعل الكل مقهوراً تحت سياسته، فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على صراط مستقيم، وإن عجز عن قهرها قهره واستخدموه، فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضى الكلب، فيكون دائماً في عبادة كلب أو خنزير.

وهذا حال أكثر الناس، وهم الذين كان أكثر همهم إمّا الفرج والبطن، أو مناقشة الأعداء والعجب والتكبر، ثم العجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة، ولو كشف الغطاء [عنه وكوشف] بحقيقة حاله ومثّل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين، لرأى نفسه ما ثلاثين يدي خنزير، ساجداً له مرة وراكعاً له أخرى ومنتظراً لإشارته وأمره، ومهما حاج الخنزير ويطلب شيئاً من شهوته انبعث على الفور في خدمته باحضار شهوته، او رآها ما

١. في المصدر: الكلب

ثلاثين يدي كلب عقور عابداً له مطيعاً لما يقتضيه ويلتمسه ، مدققاً بالفكر في حيل الوصول الى طاعته ، وهو بذلك ساع في خدمة شيطانه ، فانه الذي يهيج الخنزير ويشير الكلب ويبعثهما على استخدامه ، فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما .

فليراقب كل عبد حركاته وسكناته ونطقه وقيامه وقعوده ، ولينظر بعين البصيرة فلا يرى أن أنصف نفسه إلا ساعياً طول النهار في عبادة هؤلاء ، وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكاً ، والربّ مروبواً والسيد عبداً ، إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء على هذه الأشياء ، وقد سخره لخدمة هؤلاء ، فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طبعاً وريناً مهلكاً للقلب و مميئاً له و لا يزال يتراكم عليه الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية مرة بعد أخرى الى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن الله ، وهو الطبع والرين المذكور في قوله تعالى : ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (المطففين ٨٣ : ١٤) وقوله : ﴿ ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾ (الأعراف ٧ : ١٠٠) انتهى .

ويظهر من هذا الكلام - الصحيح المقدمات - أن الانسان إذا غلب على ذاته الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية - بعضها أو كلها - ويصير بحيث لم يبق فيها آثار الملكية من العلم الالهي والزهد عن الدنيا والورع عن محارم الله أو يوجد فيه بعض آثارها ولكن يكون مقهورة مغلوبة لغاية العلة والضعف مع عدم المعرفة - كبعض الأفعال الحسنة الصادرة عن بعض الأشقياء اتفاقاً أورياً لا من جهة ملكة الايمان والعرفان - فهذا الشخص الانساني لا محالة لا يكون بحسب الحقيقة في القيامة إلا بهيمة أو سباعاً أو حيواناً مركباً منهما أو شيطاناً محضاً ، إذ الآثار وجوه المؤثرات ، والأفعال عنوانات الفواعل .

وقد ثبت في العلوم الحقيقية أن القوى تعرف بأفاعيلها ، أو لا ترى أن المنطقيين جعلوا لوازم الفصول والأجناس بمنزلة الفصول والأجناس في حدود الأشياء وجعلوا الحساس فصل الحيوان والناطق فصل الانسان في تحديدهما مع أن حقيقة الفصل في الحيوانات ليس إلا جوهر نفسه - كما صرح به صاحب الشفاء .

فاذا صار الانسان بحيث استحكمت في نفسه صفات البهائم والسباع ، وصارت هذه الذمائم خلقاً له وملكة لها ، وبطل الاستعداد الذي كان أولاً في نفسه لتحصيل الكمالات العلمية والعملية قبل استحكام الدواعي البهيمية والسبعية ، وطبعت على قلبه الهيئات

المظلمات والملكات المسودات فمن أين وأنى تبقى له أثر من آثار الروح المجردة التى شأنه العرفان بالله و ملكوته والتقدّس عن البدن وناسوته؟ إذ الانسان انسان بروحه المقدّسة وبحصّة ملكيّته التى فيه بالقوة لا يبدنه الظلماني ونفسه الحيوانية، وإنّه بتقوية جانب الروح وامدادها بالعلم والعمل يكون مرتفعاً عن أفق الحيوانات الهالكة ويصير من جملة الملائكة المكرمة بالفعل بعد ما كان بحسب الفطرة ملكاً بالقوة، وباهمال جانب الروح وتقوية القوى الحيوانية يبطل استعداده الملكى التى بها قوام الانسان من حيث هو انسان .

فاذا بطل هذا الاستعداد فقد هلك انسانيته، ولكن لا ينعدم بالمرّة فيخلص من العذاب الهون، لقيام البراهين الشرعيّة والعقليّة على بقاء سنخ الانسان فى النشأة الثانية، بل يبقى بقاء لاموت فيه ولا حياة ولا خلاص معه ولا نجاة، إذ ليست حياته المعرفة والقدرة، بل حياته الانفعال والغصة، والعذاب والنكال فيبقى أسيراً فى كرب السعير، محترقاً بنار الشهوات، ملسوعاً بلسع الحيّات ﴿كَلَّمَانُضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (النساء: ٥٦).

وفى هذه الاية أيضاً دلالة على أنّ نفوس الفجار انقلبت الى الحيوانات فى تلك الدار، إذ لو بقيت معهم الروح الانسانية التى هى محل معرفة الله لم يتطرق اليهم الفساد الاضمحلال مرّة بعد مرّة، لنهوض القواطع على أنّ محل المعرفة جوهر قائم بذاته، ووجوده العقلانى يكون بالفعل أبداً مخلّداً من غير تغيير وزوال وتجدد وانتقال فافهم .  
وأما المنهج الحكيمى البرهانى الكاشف عن الرموز النبويّة والحقائق القرآنيّة ومسلك العقل الفرقانى الشارح لأسرار العقل القرآنى :

فاعلم أنّ للنوع البشرى فى أوّل نشأته يكون جوهرًا نفسانيًا سمّاه الحكماء بـ«العقل الهيولانى» وهو الجوهر الذى به تمام الماهية الانسانية بحسب أوّل درجاتها فى الانسانية - وهو أوّل منزل من منازل سفره الى الحق - وهذا الجوهر من شأنه أن يقبل كل صورة وحال وحية وكمال، فان عسر عليه شىء فامّا لأنّ ذلك الشىء فى نفسه ضعيف الوجود شبيه بالعدم - كالخلاء واللانهاية والهيولى والزمان والحركة - وإمّا لأنّه شديد الوجود وقوى الظهور فيغلب عليه ويقهره .

وهذا الجوهر صورة تمامية لمواد هذا العالم، بمعنى أنّ الطبيعة بقوتها القابلة الجسمانيّة وصلت الى هذه الصورة الانسانية بعد طى مراتب الصور الطبيعية، التى كانت دونها فى

هذا العالم من صور العناصر والمعادن والنباتات والحيوانات .  
وقد ثبت في العلوم البرهانية أنّ الطبيعة في المركبات وفي سلسلة العائدات التي هي  
من الهيولى التي للعنصرىات الى أشرف ما يتصور من الصور التي في أنواع الأجسام ما لم  
تتخط النوع الأخس بشرائطه ولوازمه لم تدخل في النوع الأشرف ، فما لم تستوف درجات  
الجماد والنبات والحيوان لم تنته نوبة الوجود الى نوع الانسان بحسب أول درجته .  
فالنفس الانسانية هي كمال هذا العالم وزينته وتمامه وغايته ، ولها وجهان يكون لها  
باعتبارها قوتان :

أحدهما : وجهه الى هذا العالم ، به تدبّر البدن و تحركه و تباشر الأفاعيل الحيوانية  
المختصة بهذه الدنيا ، يقال لها «القوة العملية» «العقل العملى»  
وثانيهما : وجهه الى العالم الأعلى ، به تنفعل عن المبادئ وتعقل العلوم والمعارف وترقى  
الى الكمالات الأخرى من المحبة الالهية والاشتياق الى لقاء الله و ابتغاء مرضاته .  
فهى بحسب القوة العملية أمر بالفعل وصورة فى البدن العنصرى وغاية لانقلابات  
العنصرىات والاستحالات الطبيعية ، فكانت أولاً قوة هيولانية ، ثم تراباً ، ثم ماء مهيناً ، ثم  
علقة ، ثم مضغة ، ثم بدناً ذا عظام و لحوم وأمشاج ، ثم يواناً سمياً بصيراً ، الى أن تبلغ جوهرأ  
من شأنه قبول معرفة الله تعالى وطاعته ، إمّا شاكراً أو كفوراً ، كما قال تعالى : ﴿هل أتى  
على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ (الانسان(٧٦): ١) .

وبحسب القوة العلمية النظرية أمر بالقوة ومادة ساذجة صرفة عن الصورة ولوح غير  
منقوش ومرآة مجلوة ليس فيها شىء من الصور والكمالات التي لانشاهد بهذه الحواس ،  
ولا يرى بهذا العين من العلوم والأخلاق ، سواء كانت علوماً حقّة وأخلاقاً حسنة أو كانت  
ملكات باطلة زائلة .

فان قلت : كيف يتصور وجود مادة لاصورة لها وقوة محضة لافعلية ولاقوام لها؟ إذ كل  
موجود له صورة مقومة؟ وثبت أيضاً فى التعاليم أنّ تجرّد الهىولى من الصورة مستحيل؟  
قلنا : قد أشرنا الى أنّ الجوهر بحسب هذه النشأة صورة محضة ، وبحسب النشأة  
الأخرى مادة محضة ، والمستحيل إنّما هو وجود الهىولى المحضة التي ليست لها صورة  
بوجه من الوجوه وبحسب نشأة من النشئات .

فان قلت : إنّ الحكماء أقاموا البراهين على أنّ البسيط الخارجى لا يمكن أن يكون فعلا

وقوة معاً لعدم اختلاف الجهتين الخارجيتين ، وبه أثبتوا التركيب فى الجسم - بما هو جسم - من مادة وصورة ، فأثبتوا مادة سوى الجسم ، هى أبسط منه ويتقوم منها ومن الجزء الصورى والجسم المطلق .

قلنا : ذلك مسلم فى وجود واحد و نشأة واحدة ، وأما كون شىء واحد صورة فى عالم أدنى ومادة فى عالم أعلى فهو غير مستنكر ، وخصوصاً إذا كان لتلك الصورة شوب قوة مآ لأجل تعلقها بالمادة البدنية ، بل نفس كونها صورة جسمانية يستلزم نقصاً وقصوراً وضعفاً و امكاناً يستدعى غاية وتمامية وصورة - وتحت ذلك سر .

فاذا تحققت ما ذكرنا فنقول : كل مادة - سواء كانت جسمانية أو روحانية - فانما تصير محصلة موجودة بالفعل بصورة تحصلها وتقومها .

فان كانت مادة جسمانية من مواد هذا العالم قابلة للصور الحسية فهى إنما يتقوم بصور محسوسة هى كمالها الأول وما يتبعها هو الكمال الثانى - كالصور العنصرية وما يتبعها من الكيفيات ، وكالنفس الحيوانية وما يتبعها من الشهوة والغضب والرجاء والخوف واللذة والألم وغيرها .

وإن كانت مادة روحانية فهى إنما يتقوم ويستكمل بالصور الروحانية والأخلاق و الملكات ، وهى إما صور عقلية لمعلومات مفارقة الذوات عن الأجسام وجوداً أو تأثيراً كالاله وضرب من الملائكة المقربين - وأخلاق مناسبة لها - كالعبودية التامة والزهد الحقيقى والفناء والهيمان والعشق الروحانى والمحبة الالهية - وإما هى صور خيالية ، وهى إما حكاية عن العقليات المحضة ، أو مأخوذة عن الأمور الجسمانية متعلقة بالمعلومات الجزئية والصور الحسية - فالأولى كما للعرفاء ، والثانية كما للصلحاء ، والثالثة كما للعوام .

فاذا كانت النفس الانسانية فى أول تكونها هيولانية الذات بالقياس الى الصورة الغير المحسوسة التى لا يشاهد بالحواس فما لم يصير مصورة بقوة مقومة إياها لم يتحصل نوعاً يمكن بقائها فى عالم آخر غير هذا العالم المحسوس باحدى الحواس الظاهرة ، لكونه من عالم الشهادة - وعالم الغيب لا يطالع بهذه المشاعر بل بمشاعر أخرى غير دائرة .

ثم إن تلبس المادة بقوتها الاستعدادية لكل صورة ناقصة تمنعها عن التلبس بالصورة الكاملة - كما نشاهد فى مواد هذا العالم كالقوة الهيوانية الانسانية : كانت أولاً مصورة بالصورة المنوية ، ثم انقلبت عنها الى النباتية ، ثم الى الحيوانية ، ثم الى الصورة الانسانية



التي هي مرتبة العقل الهيولاني وهي نهاية الجسمانيات في الشرف والكمال و بداية الروحانيات ، القابلة للعقل الفعّال ، فهو مجمع البحرين و طراز العالمين و حدّ جامع و برزخ حاضر بين بحرى الجسمانيات والروحانيات ، ويسمّى بـ«القلب» لهذا ، لكونه ذو وجهين ، وتقلّبه بين اصبعين من أصابع الرحمن .

فان نظرت الى ذات النفس وفعليّتها في هذا العالم فوجدتها مبدأ القوى الجسمانية ومستخدم الآلات الاحساسية والتحرّيكية ، ويكون سائر الصور الطبيعية الحيوانية والنباتية والجمادية من آثارها ولوازمها ، فهى صورة الصور وغاية الغايات ، وثمره شجرة العالم العنصريّات ، بل الجسمانية في عالم الشهادة .

وإذا نظرت اليها بحسب نسبتها الى الوجود الروحاني فوجدتها قوة محضة وفاقه صرفه لارتبة لها عند سكّان عالم الغيب وعالم الآخرة ، نسبتها الى الصورة الأخرى نسبة البذر الى الثمار ، والنطفة الى الحيوان ، فانّ البذر بذر بالفعل ثمرة بالقوّة ، والنطفة نطفة بالفعل ، حيوان بالقوّة ، والبذر ليس ثمرة ، والنطفة ليست حيواناً إلّا بضرب من المجاز ، فالعقل الهيولاني لا وجود له في عالم الآخرة ما لم يحصل له جهة فعلية روحانية ، ولهذا ذهب بعض الحكماء الى بطلان النفوس الخالية عن العلوم بعد بوار البدن وخراب الدنيا .

فحال البصيرة الانسانية كحال البصر ، ومنزلتها بالقياس الى ما يفيد وجودها بالفعل والى ما به يحصل بالفعل - بعد أن كانت بالقوّة - منزلة الباصرة بالقياس الى جوهر الشمس والنور الذى يفيد ويصير مبصرة بالفعل ومدركاتها من الألوان مرئية بالفعل بعد أن كانت هى رائية بالقوّة .

إذ كما أنّ البصر ليست فى ذاتها كفاية فى أن تصير مبصرة بالفعل ، ولا فى ذوات الألوان كفاية فى أن تصير مرئية بالفعل ، بل الشمس تعطى البصر ضوءاً وتعطى الألوان ضوءاً بذلك الضوء صارت هى مبصرة بالفعل والألوان مبصرة بالفعل ، فكذلك اشراق الروح القدسى المسمّى عند الحكماء بـ«العقل الفعّال» وعند أئمة الفرس بـ«روان بخش» تفيد العقل الهيولاني والصورة الهيولانية المخزونة فى الخيال نوراً روحانياً ، منزلته من العقل الهيولاني منزلة الضوء من البصر ، وبه يعقل الأشياء التى كانت معقولة بالقوّة .

واعلم أنّ القوّة فى باب العاقلية والمعقوليّة - كسائر الأشياء التى تكون بالقوّة - قد تكون بعيدة وقد تكون قريبة ، فالبعيدة فى العاقليّة كما فى العقل الهيولاني الذى هو جوهر متعلّق



بالمادة المحسوسة، وفي المعقولة كما في الصور النوعية المادية التي من شأنها أن تصير معقولة للإنسان، وأما القريبة فعندما يحدث فيه عن رسوم المحسوسات التي حفظتها في القوة المتخيلة معقولات أول اشترك في نيلها جميع الناس لحصول بعضها بلا تجربة وقياس واستقراء أو بتجربة سهلة الحصول كقولنا: كل أرض ثقيلة، فحصول هذه المدركات الأولية له يجعله عقلاً بالملكة يوجب لها استعداداً قريباً لصيرورته عقلاً بالفعل، ولصيرورة الصور المادية معقولة له بالفعل.

فحصول الأوليات كمال أول لما بالقوة، تؤدي إلى كمال ثان هو نور من أنوار الله يقذف في قلب المؤمن المجاهد في سبيل الله مع أعداء الله من القوى الجسمية والدواعي الظلمانية، وخصوصاً القوة الوهمية التي تمنع الإنسان في كثير من أركان الإيمان، فلا بد له من مدافعها بالقوة البرهانية، لتصير مسلمة بيده العاقلة بتأييد الرحمن. فهذا النور هو الخير الحقيقي والسعادة الحقيقية، وبه يصير الإنسان حياً بالفعل بحياة ذاتية غير محتاج في قوامه إلى المادة وذلك لصيرورته في جملة الأشياء البريئة عن المواد والاستعدادات باقياً أبداً الأبدية.

وهذا النور العقلي إنما يحصل للنفس الإنسانية بوسيلة أفعال وأعمال يقربها إلى عالم القدس، بعضها من باب الحركات الفكرية والأعمال الذهنية من الأنظار الدقيقة والنيات الخالصة تقرباً إلى الله، وبعضها من باب الطاعات والأذكار مع هيئة خضوع وخشوع، وبعضها من باب التروك كالصيام والصمت وترك الدنيا والعزلة عن الناس، وجميع هذه الأمور يناسب الأمر القدسي المنبعث بسبب تكرر الإدراكات العقلية الموجب لحصول العقل بالفعل، الذي يقال له العقل البسيط وهو أمر جوهرى نسبتته إلى المعقولات المفصلة نسبة الكيمياء إلى الدنانير.

وكذا الحال في تحصيل مبدأ طباعى بالقياس إلى الآثار الصادرة منه، أما ترى الحديد الحامية كيف تحصل له من تكرر التسخينات بالنفخات صورة نارية وقوة مسخنة تفعل التسخين لذاتها وتشابه فعلها فعل الصورة النارية، فلا تتعجب من نفس حصل فيها لكثرة التشبهات بالمبادئ الإلهية وتكرر صدور الأفعال الروحانية منها نور قدسى وصورة عقلية تعقل المعقولات، كما يحصل في الحديد المذاب قوة نارية تفعل فعل النار، لكثرة مجاورته وعكوفه على باب النار.

وهكذا حال النفوس التألّهة في عكوفهم على باب اللّٰه ومواظبتهم على أفعال يشبهه أفعال اللّٰه من الشفقة والعطوفة والرحمة على خلق الله ، ودعاء الخير على كلّ ذى روح ، والترفع عن الجسمانيّات ، والطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر من الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) ، كلّ ذلك تشبهاً به وتخلّقاً بأخلاقه ، كما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) : «تخلّقوا بأخلاق الله» حتى يحصل لهم بكثرة التعقلات وتكرّر المشاهدات مبدأ صوري في نفوسهم ، وقوة عقلية مشرقة بنور اللّٰه هي مبدأ أنوار المعقولات ، وفعال صور المعلومات .

وبالجمله كلّ جوهر له قوّة واستعداد لحصول مختلفه ، فبحسب كثرة الانفعالات حصلت له من نوع صفة يحصل فيه صورة جوهرية هي مبدء تلك الصفة ، أو لا ترى أنّ كثرة مجاورة النار وتكرّر التسخينات توجب للحطب وغيره صورة نارية تفعل فعلها ، وكذا كثرة مجاورة الأرض يجعل الشئ تراباً صرفاً يفعل فعل التراب ، وهذا ممّا لا شبهة فيه وخصوصاً إذا كان الأمر المجاور «المشبه» ذا قوة استعدادية سهل القبول و الأمر المجاور له «المشبه به» ذا صورة قوية التأثير كالحطب اليابس في مجاورة النار .

فاذا كان كذلك فلا شبهة في أنّ النفس الانسانية في أوّل الفطرة قوّة قابلة استعدادية بالقياس الى كلّ صورة وصفة - وهذا أمر بين - ولهذ يتصور كلّ شئ - ولوبوجه ما - وينفعل عن كلّ شئ ، وذلك للطافته وصفاء جوهره وصقاله ذاته ومن هاهنا يكتسب الانسان الصنایع ويتخذ الملكات الصناعية كالكتابة والفلاحة والتجر وغيرها .

فان كان مايزاوله ويباشره من باب الأمور العقلية كالتعقلات والتصورات الروحانية والأفعال القدسية ويكون كثير المراجعة الى اللّٰه تعالى بالتسبيحات والتقديرات والأوراد والأذكار وسائر الأمور المقربة اليه ، وكثير التفكير في أمر آخرته وقيامه عند الحق ومثولة بين يدي اللّٰه ، وكثير التذكّر للموت والساعة ، وهكذا حاله مدة مديدة الى أن يشتد فيه هذه الصفة ، فيحصل في نفسه الجوهر الصوري والنور الالهي ، الذي ذكرنا أنّه فعال للمعقولات النورية والصور الأخروية الأفلاطونية التي ذهب الى وجودها أفلاطن ومن تقدمه من أشياخه الكرام ، وأنكرها من تأخّر من الحكماء الباحثين الى يومنا هذا - وقد منّ اللّٰه علينا بفضله واحسانه بمكاشفة هذه المثل النورية وأثبتناها في أسفارنا الالهية .

وإن لم يكن كذلك ولم تبلغ نفسه الى هذه المرتبة فلا يخلو إمّا أن يكون كثيرة التأثير والانفعالات من اللذات الدنيوية ، شديدة الاشتغال بالأفعال الشهوية والغضبية من محبة

المال والجاه، ومحبة الترفع على الناس، والتكبر والاستطالة على الخلق، والشهرة عند الناس، والركون الى الدنيا والاخلاد الى الأرض وغير ذلك من الأفعال الحيوانية التي بعضها شهوية وبعضها غضبية .

فان كان الغالب عليه مباشرة الأفعال الشهوية توجب أن تحصل للقوة القابلة النفسانية صورة بهيمية مشتاقا الى فعل الشهوات دائما، سواء كانت آلات الشهوات موجودة معها أو مفقودة بالموت .

وإن كان الغالب عليه مباشرة الأفعال الغضبية - من الانتقام والترفعات - تحصل للنفس صورة غضبية ظلامه نازعة الى فعل الجفاء والظلم والجور والعنف - سواء كانت قادرة على ذلك أم لا - وعلى كلا التقديرين لا يخلو إما أن يكون في نفسه شوق الى العقلية واستعداد نحو الكمال والخير - مع جحوده للحق وانكاره للحكمة - أم لا .

فان كان الأول فهو أشدّ عذاباً و أعظم مصيبة وأدوم ايلاماً، لوجود الهيئات المضادة للحق في نفسه، والفريقان جميعاً من أهل النار وأصحاب الجحيم - كما مرّ ذكره غير مرة - وذلك لاحتجابهم عن العالم الأعلى بمباشرة أهل النار ومزاولة أفعال أصحاب الجحيم واكتساب هيئاتها السوأى أنا فأنا، فانقلبت نفوسهم وانتكست رؤوسهم الى أقيمتهم وصارت نفوسهم صوراً حيوانية بل أضل سبيلاً من الأنعام باكتساب الصفات الشيطانية، فصارت شياطين مردودين عن أفق الملائكة المقدسين، فبقت في غصة وعذاب مغلولة مقيدة بسلاسل التعلقات تلدغها عقارب الهيئات مادامت السموات .

وكانت قد ناداها الحق فتغافلت، وأسمعها الرسول فتصاممت، وناصحها الأئمة عليهم السلام فعانددت وعزت عن أمر ربّها فأطفئت نورها، فحلّ عليها غضب الحق، فهوت الى درك الشقاء مهوى الأشقياء، فصاروا في ظلم الجحيم صم بكم عمى، وقيل فيها: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قال ربّ لمّ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (طه: ٢٠-١٢٦-١٢٤) ومن أعظم الألم ﴿إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ (المطففين: ٨٣: ١٥) وقد ﴿ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ (المطففين: ٨٣: ١٤) وأحاطت بهم خطيئاتهم ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ (العنكبوت: ٢٩: ٥٤) فهم ﴿في الدرك الأسفل من النار﴾ (النساء: ٤: ١٤٥) متقاعدون ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ (سبا: ٣٤: ٥٤) .



وإن لم يكن شديد الانكباب على اللذات، كثير التعلق الى الدنيا والتمنى في حياتها الفانية - إما لضعف القوى الأمانة الحيوانية أو لسلامة النفس وقبول النصيحة، واستماع الايات وفهم الأخبار والعمل بمقتضاها على حسب وسعه وحوصله ذاته لادراك الأمثلة الايمانية والخيرات المظنونة، فهؤلاء هم أهل الرحمة الباقيون على فطرتهم، المتبوؤن منازل الجنان، المستبشرون بالنعيم من الحور العين والكأس من ماء معين، والقصور المرتفعة والغرف المستعلية والفواكه والأطعمة اللذيذة، والأشربة الهنيئة المريئة، وسقاهم ربهم شراباً طهوراً، يلبسون فيها من سندس و استبرق وحلوا أساور من فضة، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، على حسب ماتشتهيه أنفسهم وتلذذ أعينهم جزاء بما كانوا يعملون، ووفاء بما كانوا يسمعون، وقيل لهم في الدنيا فينتظرون .

فهذا أمودج في بيان صيرورة الأرواح الانسيّة إمّا من الملائكة المقرّبين والعباد الصالحين، وإمّا من البهائم والسباع والشياطين - بمزاولة أعمال كل من هذه الموجودات - أو من أهل السلامة القابلة للمغفرة والرحمة لبقاتهم على الفطرة .

وجملة القول أنّ مراتب الموجودات الجوهرية بعد المبدأ الأول إمّا ملائكة مهيّمة، أو ملائكة عقلية فعّالة، أو جواهر روحانية، أو نفوس ناطقة مدبرة، أو نفوس حيوانية بهيمية أو غضبية، أو نفوس شيطانية وهمانية حصلت منها قبائل من الجنّة والغيلان وغيرها، أو طبيعية جسمانية فلكية أو عنصرية، أو مادة هيولانية، والقلب الانساني المسمّى بـ«الناطقة» متوسطة بين الطرفين - الروح وما فوقها، والنفس الأمارة وما تحتها .

فهو بين اصبعين من أصابع الرحمن، فينجذب الى أحد الطرفين بحسب شدة المناسبة اليه وغلبة المحبة إياه، فان كان الغالب عليه محبة الله وأنبيائه وأوليائه وملكوته والشوق الى دار الآخرة «من كان الله كان لله له»، فينجذب الى عالم الملكوت انجذاب أبرة ضعيفة الى مقناطيس غير متناه القوة ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور﴾ .

وإن كان الغالب عليه محبة الباطل فينجذب الى الأسفل ويصير من أصحاب النار ﴿والذين كفروا اوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ، ﴿ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (العنكبوت: ٢٩: ٤٠) ذلك بما كسبت قلوبهم .

فالقلب الانساني بمنزلة صراط ممدود على متن جهنم ﴿وإنك لتهدى الى صراط

المستقيم \* صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ﴿الشورى (٤٢): ٥٢-٥٣﴾ وهو أدق من الشعر وأحد من السيف .

أما الدقة ، فلأن الانحراف والتوجه منه الى أحد الطرفين - أعنى فى العرض - يوجب الهلاك ، لأن أطرافه - غير جهة العلو - اشخاص الجحيم ، من الأفاعى اللساعة ، والعقارب اللدأغة ، والسباع الضواريء ، والكلاب العواقر ، كلها تهيات لا بتلاع الانسان ولدغه ولسعه ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ (هود (١١): ١١٣) .

وأما الحدة ، فلأن الوقوف عليه أيضاً مما يقتضى الهلاك ، ومن وقف عليه شقة ، فأهل الجحيم لأجل انحرافهم عن الصراط المستقيم وضلالهم عن الطريق القويم يقعون فى الحميم ، وذلك لعدم التفاتهم الى علم النفس وما فوقها ، وتركهم تهذيب الباطن عن رذائل النفس وماتحبها ، وباهمالهم وتقويتهم معرفة النفس فأتت عنهم معرفة الرب ، لأن (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ (المؤمنون (٢٣): ٧٤) .

### توضيح و تأكيد

#### [يحشر بعض الناس على صورة تحسن عندها القردة والخنازير]

قد ظهر أن كل صفة وملكة يغلب على باطن الانسان لأجل تكرار الأفعال الموجبة لحدوث الأخلاق والملكات يتصور فى الآخرة بصورة تناسبها ، ولا شك أن أفعال الأشقياء المردودين إنما هى بحسب هممهم القاصرة عن الارتقاء الى عالم الملكوت ، ومحبتهم المتعلقة بمراتب البرازخ الحيوانية المقتضية للأعمال الشهوية والغضبية البهيمية والسبعية ، فلا جرم هممهم وتصوراتهم أغراض حيوانية تغلب على نفوسهم ، فيحشر على صورة تلك الحيوانات ، كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ (التكوير (٨١): ٥) وربما يحشر بعض النفوس على صورة جامعة لفنون الرذائل الحيوانية ، كما ورد أنه : .

ومما يؤكد هذا الحكم أن أصحاب الكشف والشهود للطاقة قلوبهم وذكاء باطنهم وصفاء ذهنهم يتصور عندهم الأشقياء بصورهم الحقيقية الأخروية ويعاينون لهم فى صقع باطنهم على أشكال وهيئات تقتضيها صفات النفوس وهيئات الأرواح ، وذلك لغلبة سلطان الآخرة وظهورها على قلوب أهل الحق ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (النحل (١٦): ١٢) .

حتى قال بعض المكاشفين : إنى أرى فلاناً إذا تكلم مازالت تفور من فيه فوارة من النار

الى أن يسكت ، وذلك عند من كان مغتاضاً يكون أكثر و اوفر .  
وقال بعضهم فى قوله تعالى : ﴿ ولا طعام إلا من غسلين ﴾ (الحاقه ٦٩ : ٣٦) إنى أراهم يأكلونه  
عياناً .

وقال العلامة الدوانى : سمعت من أستاذى العالم العامل ، محى الملة والدين ، محمد  
الأنصارى - نقلا عن بعض من لاقاه من الثقات - : إنه كان فى بعض نواحي فارس بعض  
من الأولياء ، فدخل عليه ذات يوم واحد من أهل الدنيا ، وكان ذلك الولى مستغرقاً فى  
حالته ، فلما نظر عليه قال لخدمه :

أخرج هذا الحمار . ولم يكن يرى منه إلا صورة الحمار التى هى صورته فى المواطن  
الأخروى ، ثم بعد أن زال عن هذا الحال أخبره الخادم بما جرى فقال : « ما قلت إلا ما  
رأيت ، ولم أكن واقفاً على ما تقول » . ومثل هذه الحكاية منقول عن كثير من المكاشفين .

### المقالة العشرون

فى قوله تعالى : ﴿ هم فيها خالدون ﴾

وفيه مناظر :

#### المنظر الأوّل

فى فائدة لفظ «الخلود» هاهنا

اعلم أن بعض الممكورين بالعقل - من ضلال الملاحدة وجهال الفلاسفة والطباعية  
وغيرهم - لفرط غفلتهم وغلبة مغاليط ظنونهم قد ظنوا أن قبائح أعمالهم وفضائح أفعالهم  
وأقوالهم لا يؤثر فى صفاء أرواحهم وتغيير أحوالهم ، فإذا فارقت الأرواح الأجساد يرجع كل  
شئ الى أصله ، فالأجساد ترجع الى العناصر ، والأرواح ترجع الى حظائر القدس ، و  
لا يزاحمها شئ من نتائج الأعمال إلا أياماً معدودة ، كما حكى الله عنهم فى قوله : ﴿ وقالوا  
لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ (البقرة ٢ : ٨٠) وذلك بقدر فطام الأرواح عن لبان التمتع  
الحيوانية .

وهذا ظن فاسد وكفر صريح من وساوس الشيطان وهو اجس النفس وليس بمعقول ، لأن  
العاقل يشاهد حساً وعقلاً أن تتبّع الشهوات الحيوانية واستيفاء اللذات النفسانية يورث  
الأخلاق الذميمة من الحرص والحقد والحسد والبغض والغضب والبخل والكبر والكذب